

ليس بين ايدينا من المصادر ما يثير في كلمة الصوف في عصر صدر الاسلام ، بل ان استعمالها بدأ في العهد العباسي ،  
فقد وردت في بعض مصنفات القرنين الثاني والثالث للهجرة ، كما خصصها الفقيه المحدث شيخنا على المتصوفين اسما لهم (١) ولعل كلمة تصوف  
ما مؤداة من ليس الصوف ، وياد بها هنا انه يجب الانسان هيأته للزهد حسب اوامر الدين (٢) وهو قابل بالغاية  
كلمه « باسمتي » وتؤدى نفس المعنى (٣) او قل مأخوذة من الصفاء (٤) او انها مأخوذة من كلمة صوفانا وصرنوخ  
من المحققين ادنية الى اصل الصفة الذي حفظت لهم مقاعد في مسجد النبي ، والذين يحسبون في الصف الاول الرابطة  
او نسبة الى الاصفياء اي المطهرين ، وقد تكون كلمة الصوف نسبة الى الصفت بن مر الذين كان ليس باصوفة ، وهذه  
القبيلة التي كانت تحتم الكعبة في الجاهلية وتجزى الحاج فهي التقيف بهم ، وكانت العرب اذا حجت بالجديدة  
لا ترفع حتى تدفع بهم صوفة ، وكذلك لا يغفرون حتى تنفهم صوفة ، ونذكر غير اجزي صوفة (٥) وقد اخطا  
ابن منظور والزبيدي في نسبتها صفوان ، بل الاصح صفوان ، قال ابن عمر : « حتى يقال اجيز آل صفوان » (٦)  
ومعنى كلمة تصوف تنزه او ارشع السلك ، ومن اتolan القائمة « لولم كانت الرواية بالصوف لها - الخروف » (٧)  
وقد كان جابر بن حيان وليلياذن المعروف ، والحسن البصري وابوالقاسم اول من عمل في الاتجاه الصوفي (٨) ، ولعل هؤلاء  
وحيدا في القرآن ما يبرر اتجاهاتهم كقول تعالى « يا ايها الذين آمنوا وجهكم لله » و « نحن اقرب اليه من حيث  
البوصيد » ولقد تأثرت فكرة الصوف بالطردف الاجتماعي والسياسة والفكرية ، كما تأثرت بالبوزية ، وقد أثرت  
بالانكار الضرائية والهللينة (٩) واخذت تتعب عند اصحابها كبيل عالمة لتطير النفس البشرية حيث يتعرف  
الى الله وتتوصل الى محبة والاتحاد به لمجرد المحبة لكتاب الرضوان والنواب في آخره ، وهذه المعرفة  
شكل من القنوسية عند اليونان ، يدفن إليها السالك بما اوتيته من العلم بالهائي ، وصرفه « السلام » بالله  
الذي يشير عن طريقه العقل او بواسطة الرضوخ لتقاليد المرعية ، ولعل اول من اثبت فكرة « المعرفة » ابو  
الداغ ، واول صوفي اخذ بهذا السبيل دون الصوف هو معروف الدرخي (١٠) الذي كان نظائرا له لما

(۱۱) قال المصنف: اری جیل النصف ستر جیل  
اقال الله من عبه ثمره  
فقد لم راصوه بالحدود  
كلوا اكل الهمام وارضوا لي؟

Encyclopedia Britannica 124: 31 (1) 1118 88 Louis Massingmon: Encyclopedia of Island (1)

(٤) نفس المصدر - (٥) 681 Encyclopedia of Islam (٦) تاريخ العرب للزبيدي ج ١: ١٦٩

(١٧) لسان العرب لابن منظور ١١ ج : ١٠٢ (١٨) القاموس المفرد لباري ج : ٢ ص ٧٧ (١٩) تاريخ الخواري للمبريد

ج ٦ ص ١٧ (١٠) بروكلمان (الترجمة العربية) ص ٨٤ (١١) تاريخ العرب (الترجمة) فيليب هنت: ص ١٤٥

على مذهب الصابئة ، وقد تهرمين تصوف بعبادة الله أو عبادة الله ، وصفت له كتابات الاولياء ، وما زال قبره يفتاد حتى اليوم . وكان الناس يؤمنون القوي يرون ان الصلوة عنده تسمى من المرض . وقد تطرد التصوف الى مذهب الاتصال بالله ، فانه هو الجبار السرمدي وليس له سبيل الى الله الا بالحب ، فالحب هو سر الدول عند الصوفيين<sup>(١١)</sup> وقد كان زنون المصري زعيم مذهب الاتصال بالله ، وهذا الذي ادخل الى الصوفية كلاً العالم ، وصاحب الفكرة القائلة ان حقيقة معرفة الله لا يتوصل اليها الا بالوجد<sup>(١٢)</sup>

ويرى الدكتور حتى ان هناك اوجهاً كثيرة للتشبه بين الصوف والفرائية ، فبما ان الزاهد القاعة على الاعتزال والتأمل تشبه الحال عند سالك الصائري ، وكذلك فكرة لبس الصوف وفكرة التبتل والفردية ، والقائلون بالانطراف الى الخلو كالحال في الصوامع السريانية ، اما نظام الطريقة نوريته نظام الرهبنة في المسيحية ، وكذلك صفات الذكر فابنا تم عن اصل مسيحي ، وتثير التقاليد الصوفية المنصبة بالآخرة وبالبيع الدجال الى اثر مقصودين اصلهم من الصائري او من اليهود<sup>(١٣)</sup>

وفي السالك من الصوفية من يقول باللول ، وان الباري يحل في الاشياء ، وانه جاز ان يحل في الاشياء اوسبع او غير ذلك من الاشياء ، واصحاب هذه المقالة اذا زادوا شيئاً ليؤمنونه قالوا : لا ندرى لعل الله حال فيهم ، وماوا الى اطراح الشرائع ونعموا انه الان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة اذا وصل الى معبوده<sup>(١٤)</sup>

وقد ظن الصوف في مراحله الاولى في دائرة اهل السنة الذين كانوا من الملة حيث تفاخروا عن طوائف الشيعاء واصحاب المواليد المحمدين ، وكان المكفون راصل الصوف متفقين تمام الاتفاق بانه لا فاعل في كل شيء الله<sup>(١٥)</sup> غير ان الفكرة زادتوا فقالوا : انه لا موجود من كل شيء الا الله ، ومن هذا المنزع نشأ مذهب في وصية الدهود خالف مذهب جمهور المسلمين ، وكان من شأنه ان جعل الله حياً لا به حقيقة كما وحد بين ذات الانسان وذات الله<sup>(١٦)</sup> وهم ما في النفس المحبة لله التي تسواها الى الله وليست السعادة معرفة ولا اعادة انما هي اتحاد بالمحبيب ، وقد انكر المصنف العالم وشخصية الانسان لانهم قالوا لا موجود الا الله ، والله يجب الانسان ويعتقد النور في قلبه<sup>(١٧)</sup>

(١١) Encyclopedia of America : Sufism (٢) المصري : مروج الذهب ومصادر المصراع : ٤١٠  
(١٢) تاريخ العرب : بطول (الترجمة لبريت) ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ (٤) الاقصر : مقالات الاسلاميين اختلفوا لمصلحتهم  
(١٣) تاريخ الفلسفة في اسلام : دي بير ص ٨٩ (٦) سفضل القول في ذلك عند الحديث عن ائمة الصوفي  
(١٧) دي بير ص ٩١

رقدود ابو العلاء المرقى لأحمد الغاليني بالمولوية، في كتاب رسالة الغفران، هذين البيتين:

أبى ربى متى بد كلة في سورة يحيى فلدت النظر  
فقت! هل في انصافنا طهر؟ فقال: هيراه، يمنع الحذر

وقد تطورت فكرة الصوف على جنب البغدادى الذى كان تلميذاً لمعرف الكرخى، وكان المصنف شخصاً القوي تلميذاً للجنييد، وطريقة المصنف تشبه طريقة المعتزلة من جميع الوجوه، فقد اخذ عنهم فكرة تنزيه الذات الالهية عن جميع الصفات الانسانية وجميع صفات الحوادث، كما اخذ عنهم نسبة الذات الالهية باسم الحق، ولكنه كان يميز بين الصوت والنا صوت في الذات الالهية، وان الله سبحانه بين اناس بصوته بالحق وانه قبل ايجاده الحق ظهر اولاً في صورة انسان (١٤) وكانت اقوى الاقوال التي ادين بها المصنف في مكانه « انهم وعدوا في بيته كتاباً فيه ان الانسان اذا عجز عن الجمع فليعد الى غرفة من بيته، فيطهر ويطهرها ويحرق بها، ويكون كمن جمع البيت (١٥) وكان المصنف يقول « انا الحق »

وقد حاول فريق من المصوفين ان يثبتوا علماً تتوسط بين عالم الوجود وعالم الارواح ليسر به عالم المثال فتأنيى بقوله نفاط « فتمثل لا بشرأ سويأ » (١٦)

والمصوفون يعبدون الله اذ يحبونه لاطمئناً في حسنة، ولا خوفاً من عذابه، وفي ذلك يقول على بن ابي طالب الموفى عليه السلام « اللهم ان كنت تعلم انى اعبدك خوفاً من نارك فذبني، وان كنت تعلم انى اعبدك حباً فاحسن لي وان كنت تعلم انى اعبدك حباً من لك وشوقاً اليك والى وجهك الكريم فاحسنه وافضل لي ما مضت » (١٧)

وهكى عن جد منهم انه كان يقول في تسبيحه سبحانه سبحاني، ففانك ففانك (١٨) وانما لرجل من الصيرية: اعجبني امنا لصورى اللطالى فحبت اخيراً سكينه فارة (١٩) وقد تعدت المنظمات الصوفية فيما بعد، واولها القادرية المنسوبة الى عبدالقادر الجيلانى الفارسى هذه المذبة في بغداد، وينسب نسبها الى الحسين بن على كما يقول، وصاحب المقامات والكرامات وشيخ المناذبة، وقد اخذ عن التبريزى وكانت وفاته سنة ١١٨٠ (٢٠) ومن المنظمات الاخرى اصحاب الطريقة الرفاعية المنسوبة الى احمد الرفاعى واعضاؤها يتبعون بالتبلىح الحب والحيمة والزجاج اذ حرقوا اجسامهم بالمسكات والكلية ثم الطريقة المولوية لجلال الدين الرومى، وقد صعد سماع الموسيقى جزءاً من طريقته

(١) رسالة الغفران (تحقيق ابنة السالك) ص ٩٦ (٢) ادم قد ج ٢ ص ٢١

(٣) شخصيات قلعة في السند (مصر كبرياء) ص ٧٦ والطبقات الكبرى للسيراف ج ١ ص ١٢

(٤) المنادى: الكتاب الدرر في تراجم ائمة الصوفية ص ١٥ (٥) تن ج ٢ ص ١٥٦ (٦) رسالة الغفران ص ٩٦

(٧) رسالة الغفران ص ٩٧ (٨) نوات الوفاة: ~~الكتاب~~ الكتب ج ٢ ص ٢٠٠

وفي العصر الحاضر نجد الطريقة الشاذلية والنوسية والبيدية في شمال إفريقيا (١)  
وقد أخذت هذه الطوائف الصوفية تعلق أهمية كبرى على كرامات الأولياء ، والكرامة صفة مشهورة خارجة  
على يد الوالي متروكة بالطائفة بدوهم من نبوة ، وتكون للدلالة على صدقه وفضله (٢) ويستشهدون على ذلك  
بما ورد في القرآن ، كقصة أهل الكهف واقامتهم ثمانمائة سنة احياء ، وحسن مريم من عيسى ووجود  
الرزق عندها ، وتساوط الرطب على ، واحضار عرش بلقيس في طرفة عين سليمان (٣) ، كما قاموا  
بالدور على المقترلة الذين اكثروا الكرامات ، وقد قاموا بتعداد بعض معجزات الرسول فلا انه نشأ  
له القمر ، ونبع الماء بين يديه اصابه فترب لهكر كلهم ، ومن اليه الجزع الذي كان يخطب عليه لما فارقه للبر  
حتى سمع الناس منه كصوت الابل فضمه اليه حتى سكن ، وسلم بنجر والبحر عليه ، وكلمة الذراع وكلمة اليه  
البعد ، وسلمت عليه الغزالة ، وسجد له الذئب بالنبوة ، ودعا لعل يذهب الحر والبرد فلم يرها  
بعد ، ودعا ليدن عباس بالحق والدين وضاع بحر (٤)

ومن كرامات الأولياء ان هبزا بن ابي طالب متى زاهوار ، وان العسمة دعاها من الطعام سبت بين  
يدي سليمان وابي الدردار ، وان ابا عبيدة اليسرى قد ماتت رابته فدعا الله ان يحياها فاحياها  
وان مبرج الدمايني احضرت له فراخ متوية فقال لا طيرى فطارت ، وان الكليلي وضع  
يده على عظم رجاجة اكلا وقال لا قوم باذن الله فقامت (٥) وقال ابن عربي كنت انا  
وصاحب لي نير على ساحل النيل فزيت رجلاً وضع مصيراً في الزوار ودفع ليصلي عليه فزقت فحتم  
فاذا صر المحضر (٦) ومن الفلاسفة المسلمين الذين اتجهوا الى الصفوف الفارابي (٧) الذي عاش في كنف  
سيف الدولة في زنى الصفوف ولحق منه كل مفارقة وأخبار ، وكذلك الغزالي (٨) الذي تناول ما وضعه  
السامية والكرامية ، وصرفنا ان تحالفان المقترلة فسطح ووضع على اساس راس فصار  
الصفوف عند جمهور المسلمين منذ ايام الغزالي دعاة يقوّم عليها صرح العلم وتاجاً على منزهة (٩)  
ولم يقتصر الصفوف على الدين والطفة فحب ، بل اتخذ له مجازاً آخر هو مجال السفر ، ليس  
في الأرب العربي فقط بل في آداب الفرس والترك بالاضافة الى الأرب العربي كما سيأتي (١٠)

(١) حتى ص ٥٤ (٢) الكواكب الدرية ص ١ (٣) نفس المصدر ص ١ (٤) نفس المصدر ص ١  
(٥) المتأدي ص ١ (٦) نفس المصدر ص ١ (٧) اجناد العلماء باخبار الحكماء للنفط ص ١  
(٨) تاريخ الفلسفة الإسلامية (د. بوز) ص ١ (٩) قصة صبي تقيطان لابن طفيل نشرها جازانية ص ١  
(١٠) حتى : تاريخ العرب وطول ص ٥٤

## النثر والتصوف

لوثقنا النثر العربي منذ أقدم عصوره ، فأننا لم نستطع ان نجد فيه - في العصر الجاهلي - ما يتم عن روح صوفية ، ارماعيت على زهد وانصرف عن الحياة الدنيا وما فيها من ملذات ، ولكن حين ظهر الاسلام ، ووردت في القرآن آيات كثيرة تحث على الزهد والتقوى وتدعو الناس الى انقطاعهم عن الحياة الدنية حينئذ تأثر النثر بهذا الاتجاه ، ولكن تأثره كان محدوداً ، فقد شعر صان بن ثابت نجد ان الشاعر قد انصرف الى الدفاع عن كيان الاسلام ضد خصومه اللذات ، وبيان ما في الاسلام من محاسن وصفات ، ولكن الى جانب هذا نجد ان شعراء الذين كانوا يتفنون بالحرفة وبالعلم الى شرباً قد خففت اصواتهم ، وذلك للأثر القوي الذي تركه الاسلام .

واذا كان عصر الدولة الأموية ، قد ظهرت فيه أحداث هبيلة كان لا الأثر القوي في الاتجاهات الأدبية ، سيما النثر ، فالواقع ان هذا العصر بالنسبة الى الأدب لم يكن الاستعداد للعصر الجاهلي فقد عاد الشعراء يتفنون بالحرفة ، ويتفنون بالدعوة الى الله ، وعادت روح الصبغة القبلية التي أخذت نازها موقناً ، تتأرجح من جديد ، وشيد الشعراء ، وهذا ما يفسر لنا المنومات ، والقائض التي قامت بين جرير والغزوة والاعطل والراعي ، وغيرهم من شعراء ذلك العصر ، والذي نريد ان نقوله هنا انه في هذا العصر لم يظهر شعر صوفي ، ولم يتم من الشعراء من يدعو الى ان يتهاى الانسان للوم الآخر ، فيصرف عن الدنيا وملذاتها ، ويكف عن التفتيش والزهد في انقطاعه - ملذات جديدة كما صورها القرآن في كثير من الآيات « وزوجناهم مبرر عين كما شاء اللؤلؤ الكسوف » « لكلامهم يومئذ ان يخفيه ، وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » « فاما من ادق كتابه يمينه فيقول هادئ اقرروا كتابي ، اني ظننت اني ملوك صابغ زهور عيشة ارضية ، فحينئذ عليه تطول ارضية »<sup>(١)</sup> اما العصر العباسي ، فهو يختلف كل الاختلاف عما سبقه من العصور ، فالحياة الاجتماعية أخذت شكلاً جديداً ، والحياة الفكرية بعد ان تأثرت بمضات الاسلام الاخرى ، اتخذت لآياتها الجديدة مكان لا بد ان تؤثر هذه الاوضاع الجديدة في الأدب ، سيما النثر ، لانه المرأة التي تنقل بين الحياة بما فيل من خير وشر ، وهكذا فأننا نستطيع ان تبين هذه الاتجاهات الجديدة من راسنا للذوب سيما النثر . ولعل أبرز مظاهر الحياة الجديدة ، هذا الانعكاس في النثر ، والاندفاع في الملذات ، بشكل لم يكن مألوفاً من قبل ، بل أصبح قريباً من شعراء يدعون الى هذه الحياة الجديدة ، وانقسام تلك الفرص ، وعلى رأس اولئك شعراء ابونواس وشبل

(١) سورة عبس  
(٢) سورة الحاقة

بن برد ودالبة بن الجباب والمخينة بن الصالحات وأضدادهم ، بل كان أبو القاصية من حدة أولئك السقار  
فمسهل حياته ، ثم انصرف في الحقبة الاضية من عمره الى الدعوة الى الزهد والتقشف ، حتى شكك  
أولئك الذين يتبعون امر الزنادقة أن شكوا في صحة دعواه<sup>(١)</sup> وأسرفه في الدعوة<sup>(٢)</sup> الى الزهد والتقشف  
بل حتى أبو نواس الذي تزعم مدحته الفراء ، قد ضم في أغزليات أيامه على ما اقرنه من آثام في  
صباة وعمره الأول :

دبت في السقام غفلاً وعدوا داراني اموت عضواً فعضوا  
ذهبت جدتي لطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله رضوا  
لهف نفسي على ليل واياي م تجاوزتهن لعباً ولهوا  
قد اسعنا كل المساواة فاللهم ~~صغف~~ عنا وغفراً وعضوا  
وهو يؤكد هذا المعنى في قصيدة التي ~~سقط~~ بيطار الديار ، ثم عرج على مدح الخاموس ، وبعد  
ذلك اخذ يعرف بذنوبه وآثامه التي كانت عصاة لطيف السباب ولهوه :  
ولقد نهزت مع الفؤاة بدلوهم واسمت سرح اللهو حيث اسامر  
ولمقت ما بلغ امرؤ دنيابه نادراً عصاة كل زالك آثام  
والواقع أن كلمة الزهد ليست مرادفة للتصوف في جميع الاحوال<sup>(٣)</sup> ذلك أن الزهد قد يرد  
له دوافع مختلفة من دون ان يرتبط بافطار او طرفة غاشية ، فالمعنى حين مال الى الزهد لم يكن الدين  
ولا آراء المصنفين هي التي دفعته الى هذا الزهد ، وانما هو افطاره الخاصة والآخرة ليست له نظرة  
الى الامر بنظر مختلف عن غيره ، وزهده يختلف عن غيره فهو يفر بلطفه الكائنات الحية جميعاً  
سواء اصناف الحيوان ، ~~مخبر~~ يري ان تسريح البرغوث ابر من العطار درهم لمحتاج من بني الانسان :  
تسريح كثر برغوثاً ظفرت به ابر من درهم تقطيه محتاجاً  
لا فرق بين الدلالة الجود اطلقه وجوده كندة اسي يقيد الناجا  
كلها يتوفى والحياة له صبيبة ويردم ليس لها جال  
رصد يري ان التسريح والصلاة والطواف بركة ليست هي الديانة الحقيقية ، انما الديانة  
الصحيحة ان يسير الله شان على الهامه حين تقرر له :

(١) ما نسب اليه الزنادقة قوله : اذا ما استجرت لملك في بقماتك فاعلم انك امرؤ دنياب (ابن قتيبة ص ٩٠)  
(٢) ردك لان - تاريخ الثعوب الاسود ج ٢ ص ٥٥ (٣) زكي مبارك - التصوف الاسود ج ١ ص ١٨٧  
p 287  
Nicholson : Studies in Islamic

سبح وصل وطف بركة زاراً صبيحاً فلت بناك  
عهد الديانة من اذا عرضت له الطاعة لم يلب بالتماسك  
وقوله : ما الدين صوم يذبح الصائرون له ولا صلاة ولا صوف على أسد  
وصيري أن الديانة ألا يؤذي الإنسان جاره ، فإن فطر ذلك فله ينفه سيرة  
إلى البيت الحرام مسلماً :

توصيت يا صفور أنك دين علي بين الله مالك دين  
تسير إلى البيت الحرام مسلماً ويكفون جارباً رهندين  
وكان أبو القاسم يبرع في دتيرة راحته في الدعوة إلى الله والزهد ، ترك الدنيا وما فيها  
مداد وقيم :

بين عين كل عمت هم الموت يلدع  
فخ في نفسك يا مكلف إن كنت تنفج  
لقوتك ولله عمت ما عمت تنفج  
وقوله :

وقضت أصوات صمت ونفدت المنة خفت  
وتكلفت من أوجه تبلى ويصير سبب  
وارتاك قبلك في القبور وانت حرة لم تحت

وقوله : حيله ما تنفخ نفدت ما أكثر النفوس كن يبرت  
الفقد فيما جاوز الكفاية من اتقى الله رجاو حافاً

وقوله : حب الدنيا نصير الله غداً اليه صير زمن للزوال  
وذهب لنا من الفؤاد إلى القوي مرة أخرى نلنا تحت عم السند لأن النفس بهم  
وان تحت الرجل الخور الجبله ويقود فلأ بأفرو غير جية :

الم بدأ - الشك المامه فأنفس بالبالصل هي به  
وأنه رأيت الخور مناة يصلح أن يحفل من سماه  
فقد فلأ رتد عن الأ سوار للونوم زما به

وتسقت الآن الشاعر صوفي آخر هو الشيخ عبد الرضا عي ، فإنه يسلك طريقة أبي العلاء إلى  
القاسية ، في الدعوة لتأهيا الإنسان للحياة الأخرى ، وإن يتبدع في استحداث والمذاهب

فويذكر الى الايمان بالله الباقي والى صوت نوح الذي كانت شريفته اشرف من غيرها من شرائع  
الملل الاخرى :

آمنت بالله الوجود كله	سواء يفتن وصويانه لم يزل
فظهر القلب لقدسه كونه	متشداً كتاباً كما نزل
دارض بهم الالهى منجاً	فانه المأمون من ريغ الزلل
ادام شريفه كريمة	مصدراً عن الغياث التمل
من اعلم اسير لا عن هوى	ومن عداها ضل بالغي وذل
قد يتعد القتل بانه شرعنا	اشرف حلاً من شرائع الملل (١)

وتنمى من ناحية اخرى يؤمن بقصة الخضر كغيره من الصوفية الذي يعتقدون انه ما زال على قيد الحياة :  
يا جاهد حمله المطوى في القدر - وستر ما ناله موسى مع الخضر  
احفظ فؤادك وحضرك وفتنك ارباً من ستر ما اودع القرآن في السور  
ولا تكت زاهداً عن نور شارقة اقالها الضمير في برج من الخضر

هذا ولما وردنا ان تأني عن القضاة التي اتجه بها اصحابنا الى الوفا والزهدي لظال بنا المقام  
قد اسرف الشعراء في العصر العباسي وفي الصور التي تلتها - اقول لقد اسرفوا في الدعوى الى ترك  
الدنيا وعطامها ، وكان ذلك بمثابة فعل لما كانت عليه الحال آنذاك من استهتار - ربحون  
وكان من رأس اصولك الشعراء <sup>المقوية</sup> الخلدج الذي تتر في بغداد ، وكان لثقته اثره بالغ في نشر  
مذهبه الصوفي الذي يقول بالخلولية ، ولم يقتصر اثره على الحياة العربية فحب بل اثر في الادب  
الفارسي تأثراً بليغاً ، ذلك ان مريديه قد فروا بانفسهم الى خراسان حيث محمد بن الارسلان  
شركة من اطيب ثمرات الثقافة الاسلامية ، اعني اشهر الصوفي عند الفرس والأتراك (٢) فخب  
اشبال سعدى وحافظ وجيل الدين الرومي يتبعون القبة في الادب الفارسي (٣) ونجد ابن الفارض  
في الادب العربي يتجه نحو الحب الاول في قصائده الصوفية وهو غير الطريقة التي سلكها اصحاب الخلول  
ولم يقتصر الامر على مجال الشعر ، بل تعدى ذلك الى الفلسفة ، فقد كان الفارابي والنزاري  
من مزيدي الاتجاه الصوفي في الاسلام

(١) معتود الناس في حقيقة الخارج ص ٥٥

(٢) برذكانات ج ٢ ص ١٥٥ (٣) تليق حتى ص ٥٥٥



### المولية في شعر الصوفي

عرضنا في مستهل البحث إلى أن فريضة المولية<sup>(١)</sup> أن الله حالاً في الكائنات ، وكان على رأس صؤلاو  
المدح<sup>(٢)</sup> لما قد نشأ عن قدسهم ذهب حديثاً في وحدة الوجود خالفة مذهب جمهور المسلمين ، وكان من شأنه أن  
جعل العالم ضالاً بـ حقيقة كما رقد بين ذات الإنسان وذات الله ، وبعد أن كان المسلمون يقولون  
بوحدة الذات الإلهية ، قال هذا الفريضة بوحدة شاملة لكل شيء كما قالوا بوجود الله في كل شيء ، وبسم  
هذا الفريضة بوجود شيء بعد الذات الإلهية سوى ما يختلف في قدسهم من احوال الوجود المستوحى دانه  
المحبة هي التي تسو بالمقترن إلى الله والسعادة هي الاتحاد بالمحبوب<sup>(٣)</sup> وقد انكر صؤلاو شريعة  
الإنسان بأن قالوا لا موجد إلا الله والله يحب الإنسان ويتذوق النور في قلبه وكل ما في عالمي الجسم  
والقول يرد إلى مصدر واحد . الإنسان في أصله وصفته غفر رباني ، فقد خلق الله آدم على صورته ثم  
أبرز من ذاته تلك الصورة من جهة الخلق حتى يرى نفسه كمن ينظر في المرآة ، ومن هنا أمر الدولة بالسجود  
لقدام (٤) الذي تجرد فيه كما قبر في عيسى :

سجنان من أظهر ناسوته سرنا لاصوته التائب  
ثم بدأ لفقة ظاهراً في صورة الأول والرب  
يتوكل المدح أيضاً : أنا من صدى ومن صدى أنا من روحان ههنا جدنا  
فأنا الصبرتي الصبرته رانا الصبرته الصبرتنا  
ويؤله هذا المعنى طاب آفر من نفعه :

أنا أنت بولس فبجانك سباني  
فتو صيدك تو صيدى وعصيانك عصياني  
واسخاطك اسخاطى وغفرائك غفرائى  
ولم اهد يارب اذا قيل صوالرائى<sup>(٥)</sup>

ونجد المدح هنا يتجه إلى شيء جديد وهو تحليل الموترات ، وإباحة مالم تجه الشرائع للغيرية ، ذلك أن إتاحة  
بالحق ، كما يقول عن نفسه ، يتخذ ذريعة لتأجيل من القيود والشرائع التي ألزم غيرها بالسيرة على وعدم حرمان

(١) 'يكونون صدى' (٢) روى بور صدى (٣) استناداً إلى قوله تعالى « وارتقا للملكة يسجدوا فجدوا »  
الإلهية أي وسجل (٤) وكان من الفريضة (٥) ديوان المدح لشيخه ماسينويه ص ١٤٤

وقد قال عنه المعري في رسالة الفقدان د فاما الميت فانه مضمون فليس جهله بالمحور ... اراد ان يدير الصلابة على العطب  
فانتقل عن تدبير العطب ، وكلم افترى للمدح ، والكذب كثير المدح ، وجميع ما سيب اليه لم تجر العادة مثله فان الميت  
الخيرية ، وادصدق به ولو كريت ، وما يتصل عليه انه قال للذي قتلوه « انظنوا انكم اياي تقتلون ؟ انما تقتلون<sup>(١)</sup>  
بغلة الماداني » ... وان العلة رصبت بها مقول ، ولفظ ان قوماً بغير اشارة يتطردون ، وانهم يفتنون بميت صديقهم<sup>(٢)</sup>  
ومن اقواله : اتقوا يا ثقاف ان في قتل حيائي  
وما في في حيائي وما في في حماي<sup>(٣)</sup>

وما سيب الى احد الضريبة قوله في المدح :

يحيي اما لصراف البالي صبت اختنا سكية فارة  
وقد سرت فكرة الدول الى امر الفارس ، من ذلك ما ذكره يفسون من جلال الدين الرومي انه قال :<sup>(٤)</sup>  
يتبدل الحجاب الى طف كل لحظة

في صورة مختلفة فيسوء الارواح وليف  
تخذ هذا الجوب في كل حين ثوباً جديداً  
ادنة فتى غراتاً ، وادنة رجلكملا  
وصور حينا غاراً وسط صلصال الفاعري  
الروح غاراً لفة كالقراض في البر  
يفتب آتراً من حماق الحاقة الرصافة والصفحة  
يتبدل في العالم  
فيسير لوماً يدير العالم طوفاناً بعد دعوته  
بيناً عيسى سنية

ثم يسير ابراهيم يتبدل وسط النيران  
الترقيب له برداً وسلاماً ان  
يضرب في الارض حينا يسرى عن نفسه  
ثم يسير عيسى يرفع الى السماء فيقتل الله

١١١ رسالة الفقدان ص ١١١ (١) ديوان المدح ص ١١١ (٢) يفسون ص ١١١ (٣) اشارة الى  
قوله تعالى « ويا نازكون يردوا وسلاماً مع ابراهيم »

وعلى الحجة فهو الذي جاء ، وهو الذي ذهب  
 متى تبدى آخراً في صورة عربي فلهذا العالم  
 من هذا الخيال ، وما حقيقة هذا التحول ؟  
 لقد صار ضياء القلوب مضاءً بيد علي  
 راضي هذا المحدث نبياً - زمانه  
 لا ، بل هو الذي تبدى في باب السبر وضاح « أنا الحق »  
 وهذا الذي ظن المحقق ان الذي رفع عن حقيقة المأصو المفسر  
 ولكنه لم يكن المفسر .

لم يطلع جلال الدين الرومي بالقدرة  
 ولا يطلع . فلا ترموه بالذل  
 فمن يرم عليه بالذل فهو كافر  
 صرح الذين قضى عليهم الله - الناس

واستناداً على هذا فليس المروج هو الذي صاح « أنا الحق » ولكنه الله نفسه ، فكلم ببيان المروج الذي فني  
 به نفسه ، كما كلم الى موسى بن استبرق ان استبقت ناساً « . وكنت فكرة الرجل الاله » كقول « Man » تقدم  
 العالم الاسلامي باستثناء بعض قبائل الهند ( ناس ) ومن هنا لاسنة اللاتمة التي زالت بالمروج  
 والحق ان فكرة المول انتشرت بين كثير من الشعراء ، فان بعضهم صوباً ، والبعض الآخر غير صوابي ، ولما نقولنا ان  
 الى ابن عربي الذي يقول : في كل شيء له آية تدل على انه عينه  
 وقوله : ان لي رباً كريماً احبه كالذي نعلم او نعتقد  
 صومئ وانا منه به ولنا في كمال احبه  
 ومن الشعراء غير المصنفين الذين ادخلوا فكرة المول في قصائدهم ابن صائغ الاندلس فهو يقول في بيت المعز :  
 اميرها من حيث دار الدنيا زاهمت تحت لجامه جريد  
 وقوله : حل برقادة المسيح حل بل ارم ونوح  
 حل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه - ح

والاشارة الى قوله تعالى « هذان حديق موكب » ان رأى صليحاً ناساً فقال رحمه الله اني استنمأ على ما بقيت  
 اراهم على اناء - هذان ناساً لها نودى بامس ، ان انا ربه نافع شيعه انه بالواد المقدس طوى ، وانا اخبرته ما سمع لما يروى »

٢٠

ولابد لنا من القول ، قبل ختام البحث ، بأن فكرة المدح انما انت اقسام الناس الى حد بعيد ، وقد تصدى بعضهم  
 بمدحهم والتزديد ، فالمعنى يقول « واول رتب المدح ان يكون شعورياً »<sup>(١)</sup> ثم يتفق قول احد الشعراء المعاصرين  
 للمدح :  
 ان يكون مذهب المدح صحيحاً      ناله في حرمة الرجاج  
 عرضته غنوة بطران      بين دار الطار والندح  
 زعموا لي امرأ وما صح كك      صون لك شيخنا الخدح<sup>(٢)</sup>  
 ولعلنا انما اضيف الى المدح عالم قيل ، ونسب اليه من شعر عالم نظم<sup>(٣)</sup> ، وسطيع ان تبين ذلك بهذه  
 القصيدة التي تتألف فيها الاوزان والقوافي ، بلغة اقرب الى العامة ، يصف فيها المدح قصته ، وتدابيره ما يستلزمه  
 في ديوان الشاعر ومنه ابيات منها :

الحمر دني      دونه الحمر ربحاني      ومحبب الذكر تبني وعبداني  
 لا يشرب الحمر الا من كان بطل<sup>(٤)</sup>      وطوبى النوم لم تقف له احباني (كذا)  
 انا الحية انا الخدح يا فقرا      زوت سدا منهم من غظم برهاني  
 انا الذي شاع ذكره بلاء الامم      حلت قطي تبواني وايمان

وليس في الامر غمابة فتمتلك المدح بهذه الصورة المثيرة ، لابد ان يترك اثرها قوياً في اذهانه الناس  
 ولابد ان يسيب اليه اتباعه من الاقوال والحوادث التي الكثير ، ولعل هذا تفيد لفكرة المدح صو  
 ما يأتي : « قسم الله جه اجزاء ، ودصب كل واحد من احبابه فضلاً خالصاً منه ، جزواً مع قدر وجدة  
 بربه ، ثم ارسل على هذا الجزء المعية الطبيعية البشرية ، والمزاج والنفس لغير  
 على هذا الجزء من الحب التوتي ، جمع تلك العناصر التي اضيفت اليه ، حتى تصير طبيعة الحب حباً  
 خالصاً ، واعماله ونظراته مملوءة بالحب ، وتسمى هذه الحال « الجمع » ، سوارك عند الذين  
 يعتبرون الادراك الباطن او البصيرة الخاصة<sup>(٥)</sup> ، وذلك موافق لقول المدح :  
 ليلى      ليلى      يا سري      ونبوات      ليلى      يا قصدي      ومغافل  
 يا عيني      وهجدي      يا سدي      صم      يا منطلق      يا مجاراتي      واعيانني  
 يا كل كل      يا سمي      ويا بصر      يا حبيتي      ويا مغيثي      واجزائي<sup>(٦)</sup>  
 ولما اردنا تفصيل القول في شعر الذين يدور حول فكرة المدح لطلال بن الجب ، وكنتنا نكتفي بهذا الجزء اليسير .

(١) رسالة الغفرات ص ١٠٠ (٢) حرمة بعض زوجة او امرأة (٣) رسالة الغفرات ص ١٠١

(٤) المصنف ص ١٠١ (٥) ديوان الخدح ص ١٠١

## الحب الالهي والشعر

لئن اتجه المروج الى مذهب المول في شعره ونثره ، فإذن قريباً آخز من الصوفية قد اتجهوا نحو « الحب »  
 فيما نظرنا ، وعلى رأس هؤلاء ابن الفارض ، الذي تمثل قصائده الشعر الصوفي حسن تمثيل وقد أثار مذهب  
 المول حقاً : « ولي من أتم الرؤيتين الشارة تنزهه عن رأي المول معتدي »  
 وتقول : « من صلت عن قولي أنا صارت أقل ، وحاشا لمن اتها في حلت »  
 فمن صديق البيت الفارسي صريح لفكرة المول .

فما هو هذا الحب الالهي ؟ إنه ضرب من النال ينطوي مع جميع الصفات والادوات التي نظم فيها  
 الغزلون من قبل مع خارق واحد : هو الغرض الذي يحيط بكثير من الأبيات ويدل أن الشاعر يعيد اليه  
 ليكون المعنى أشبه باللفظ لا يستطيع أن يعبره كالمعبر ، وما يزيد المعنى عمقاً هو التركيب المعقد  
 لكثرة المعاني البديعة التي يلجأ إليها الشاعر ، أما الموسيقى فإن الشاعر يلجأ إليها كثيراً  
 لإحياء البيت . إن الغرض الذي يرمي إليه الشاعر الصوفي يريد أن يتخذ منه ذريعة لتغيير البيت أو  
 القصيدة على الشكل الذي يراه هو ، كما يراه الآخرون ، ومن هنا نجد أن الشروح قد تعددت على قصائد  
 ابن الفارض سيما تائيد المسماة « نظم المول » ، والتي نطلمها :

مقتنى حيا الحب إلهة مفتى ، وكأسي ميا من عن الحسن جيت

فحين نلاحظ تعقيد المعنى في أول بيت من أبيات القصيدة سيما حين نصل الى قوله « وكأسي ميا من عن »  
 الحسن جيت » ، وكذا ابن الفارض لا يتردد في هذا بل يقول إن صياحه وصفه لله دونه غيره ، ثم غرض في قراءة  
 هذه القصيدة نجد الشاعر يجربنا في البيت الثاني بأنه أدهم أصحابه بأن سرور صهره صرح أن  
 يشرب من شرابهم : فأدهمت صهيبه انه شرب شرابهم به سر سرى في التثاني بنظرة

وليت في هذه القصيدة وصف المحرقة بأبيات نموذجية نستطيع إدراك ما يلجأ إليه الشاعر :  
 وبالمدق استفتيت عن قدح من سما لئلا لادن شوي هو شوي  
 ففرحاه كرى حان كدر لفتة هم تم لي كتم الهوى مع شهري  
 ولما انتفى صغري تبا صغيت وصلح ولم لغيتي في سطر قبض حشمة

وليت أن يتبين الشاعر من وصف هذه المحرقة بهذا السلوب الذي ارتضاه لنفسه ، يتقل الى لعل  
 فيجمع مع قلبه الأوصاف التي فعلها المحبون على أنفسهم من قبل ، وذلك أن حب المحبوة لهذا الحب شيئاً  
 من حياته الباقية ، وأن الحب الذي يحمله قلبه يستطيع أن يدرك الجبال بما فيكم طويلاً الذي لكم الأوتار

عليه مرسى عبد السلام ، وإن رموعه هي التي نلت على الحب الذي كينه قلبه  
 هي قبل يفتي الحب من بقاء ، إنك بها في نظرة المسكت  
 من على سمى بل إن صفتك إنك من قبل لغدي لذت  
 ولوان ما بالجمال ، ولان طور سينا بها قبل التجلد لكنت  
 هو من عبرة نتية وهو من نتية ، حرق أدواها في أدركت  
 وبعد هذا ينتقل الشاعر إلى المبالغة ، والغمز ، فيعبر عن رموعه الكثيرة بألا كانت بينه وبين الجوفات  
 نوح ، رموعه قلبه في آثارها نار الخيل الجاهل ، وأنه لولا رموعه لحرقت زفراته ولولا هذ  
 الزفرات لحرقت الرموع :

ولم ناه نوح عند نوح ما دمر ، وإيقاد نيرانه الخيل كلوعتي  
 ولولا زفيري اغرقني ارمي ، ولا رموعه احرقني زفيري  
 وحزن ما يعقوب من الله ، وكل بل ايوب بعض بيبي  
 وما خر ملاقى الادل علقوا الى الردى ، بعض ملاقية اول محنتي  
 ولكن الشاعر هنا تنافده روحه الصوفية فيعد الى ذكر بعض تعابير الصوفية فكلمة «الدليل» ، وتفسير «نادمت ليلتي»  
 و «ظهرت له وصفاً» ، و «أخبر عنى لظاهر» ، كل هذه تعابير لا ندرى ماذا يريد بها الشاعر في أبياته التالية :

فلم سمعت اذن «الدليل» تأ وهي ، لا تدم إسقام حبي اضرت  
 وفادمت في سكرتي الخمول «مراقي» ، جملة اسري وتصيل سيري  
 «ظهرت له وصفاً» وذاتي حيث لا ، يراها ليلتي من صدى الحب ابلت  
 « فأخبر من في الخي عنى لظاهر» ، بياض امرى وهو من كل فرق

ولكن الشاعر قد نبه نفسه في بعض الأحيان فهو ينكر على نفسه أنه من أصحاب الخمول ، وأنه ليس من المؤمنين  
 بهذه الفكرة ، ولكن ماذا عسى يستطيع القارئ ان يفهم من هذه الأبيات :

فكلهم مكروه الردى في عادي ، كلاني ومنه ابقاء هلك خفيتي  
 وما بين شوق واستيلاء فني في ، تولد مجرأ ادخل محضرة  
 فكلنا في من فناءك رد في ، فوادي لم يرفق الى دار عذرة  
 وبعد فاني نيك قاتل سفلي ، ونيمة في سبق رومي نيتي

ولكن الشاعر يفتي ، فيجربنا في صراحة لا تغفل الشك ان حبه موجه لله تعالى ، فهو سبحانه يظهر ذلك بوضوح  
 الاوصاف فيجعل البوي ملوق لذينة في نظرة ، ولكنه يحول بينه وبين تلك البوي :

وما هو إلا أن ظهرت لنا ظري بألوان وصفات على السن ارتبت  
فليت لي البؤس فليت لي بها وبني فطانت منه جعل عدية  
والشاعر لا يستطيع أن يبعد كثيراً عن أسلوبه الصوفي فهو يعود إليه بين حين وآخر سداً للتغايير الصوفية  
« الرياضنة » « الكشف » « المحجب » « التجريد » « الحقيقة » :

وهذه من نفسي بالرياضنة ذاهباً إلى كشف ما عجب العوائد فطنت  
وجردت في التجريد عزمي تنهداً رأيت في نسكي استجابة دعوتي  
وكيف وباسم الله ظل تحققت تكون الأحيف الفضول تخففت

رقدت جرت عادة المقربين أن يفقدوا أموراً كثيرة لهم عن أنظار الناس ، فالصفات والمزايا التي يتبع بها الصوفي  
يريد أن تكون مجهولة لدى غيره ما دامت معلومة لدى الله فالشاعر هنا يطلب إلا يسمى مريداً كما يطلب  
الغناء كما لا التي يختلف بها لدى الناس وإن لا يطبقوا عليه اسم العارف ، ولكن مبرراته تكون غامضة  
بعض الأحيان مثل « نحن رضى مراداً لا جذباً فقيرٌ لعصقي » و « اصغر أتباعي على عين قلبه عرائس ابهار  
المعارف زنت » :

ولا تبني فلما مريداً فمن دعى مراداً لا جذباً فقيرٌ لعصقي  
والخ الكنى عنى ولا تبلغ الكنا فخر من آنا - صيغة صفتي  
ومن لقبى بالمعارف ارجع فجان تر السابز باللقاب في الذكر تمت  
ناصر أتباعي على عين قلبه عرائس ابهار - المعارف زنت

ولازم أن نقف طويلاً عند ابن الفارض فمن شعره مجال واسع للقول والقيق ، ولشغل الشاعر آخر له  
قصيدة صوفية لقد من احسن ما قيل في القول ، ذلك أن عرصر استهزؤي ، فهو يمدح في قصيدة الاستهزؤ  
القصص ، ويتقدم عن التقيد وذكر التغاير المستغلقة في المعنى ، بل يعود إلى وضع الالفاظ وأرقها  
ديك أسلوباً فيه بسولة والافتاح :

لمعت نارهم وقد عمى السيل وظل الحادي وتناه الدليل  
فتأملنا وفكرى من السيل عديلٌ ولوط عيني كليل  
وقد أدى ذاك الغرادر المعنى وفراي ذاك الغرام الرض  
قلت لما بدت لصعبي ليلته لكذه الناء - ناء ليلي فيلدا  
فرمها فمها لحاظاً صميمات فمادت فماتاً فيرهل  
ثم عادوا إلى الملام وقالوا خبت ما رأيت أم تحيل

فحببتهم وعلت إليها والهوى مركبى وسقوى الزميل  
 ريلاد القارئ لا يسى بأن هذه قصيدة صوفية ، وقد اقتبنا قطعة منها ، وعين غفنى في قراءتها فيها كلا  
 على هذا النمط من الصدفية والجمال .  
 ولأبي الحسن بن الصباح قصيدة من هذا القبيل ، ولكنه كان لما يخاطب حمام الابل على طريقة  
 السابقين من المعتز الذين كانوا يقبضون اصوات الحمام بكاءً لهم لئلا يكونوا في الجوار واللوعة :  
 ايكى حمام الابل من فقد الله واصبر عنه كيف ذاك يكون  
 ومالى لا اكى وانذب ماضى ودار الهوى من الضلوع دفين  
 وقد كانه قبي قبل هبك قاسياً ربه دامت الهوى سليل  
 الاصل على لحنه المبرح مسدداً وهل لي على الوعد التبريد  
 نستطيع ان نلمس الواناً رائعة من الغزل في شعر الصوفي ، لا سيما حين يميل ادراك الشراء الى الموضوع  
 في اساليبهم ، ولا يقتصر الأمر على الأدب العربى وحده ، ففى الأدب الفارسى ، الوان من هذا الغزل  
 قد تفوق ما في الأدب العربى ، وقد نقول لنا سيكون بعد هذه الروائع ، ما قول جلال الدين الروم : (١)  
 جاء هبيب قراً لم تر لسانه ولن ترى له مثيلاً . يظان او حالما  
 متوجهاً بقطاع خالد لا تنيه سيل اى سيل  
 وهين بدأ بهى وهيناً صعبه رب اكثرم  
 استعت الخمر صدى وملأت نواصي  
 فلما امتلأت غيناي بصورته صاح من باطن صوت :  
 هنا صفت يارب الخمر والكاس الدائمة  
 وهذا الدين الرومى يرى ان حب الروح لله هو حب الله للروح . هذا الحب الذى يصل الى حد الفناء في الله :  
 يا رضى محبة عنك من طرف الى طرف فما رأيت ضلك غير المحبوب  
 يا رضى لا تسيت متراً إن قلت أنت صر  
 وفقاً فالتأليف انتمى هذا الحب الالهى في الأدب العربى والفارسى في اساليب مختلفة  
 وصور مقددة ، ويستطيع الباحث ان يجد اتفاقاً واسعة للحن اذا توافر له الوقت للبحث في  
 مثل هذه الموضوعات .

(١) الصوفية في الاساطير ص ١٢٠



### الخاتمة

لاحظنا في بحثنا الأساليب التي عمد إليها المتصوفون في تضادهم فكانوا على آسام : فمنهم أصحاب مذهب الدول وعلى رأسهم الخمدج ، فهو لا يرى أن روح الله قد اتحد بأرواحهم ، وإن أنفسهم قد فقت في ذات الله ، والاستغراق في شدة هذا القاء صوغاً في الحقائق لدى صولار الغريق في المصطفى فقد تعمق بين المصوّف وبين العالم - وإن بلغ المصوّف مرحلة القاء - صلة تأ ، فهو يقيم فيهم من أنفسهم حتى فهم قد ماتوا من حيث أنهم أفراد ١١١ وإذا كانت قصائد الخمدج - في الأدب العربي - تدور حول هذه الأضواء فإن جدول الدين الرومي في الأدب الفارسي أصحاب القدر المعنى في هذا الصغار ، فهو يرى أنه مجهول عن نفسه هو لا يدين بأحد إلا بربان المتعارفة ولا ينسب إلى بلد من البلدان أدلة من المثل وإنما هو في صلات وراء الحقائق حيث تنزهت روحه وأسقت ففتحت روح محبوب الواحد من جديد ، أما الجمهور فينظر إلى فكرة الخمول بأنها جدول الله في الآلات ، وإن « القاء » هو فقدان الذات وصدور مادة الجسد ، أما النوع الآخر من إله فهو الذي يدور حول الحب الإلهي وتكرار فيه الفاظ « إلهه » و « الهام » و « الخزة » و « إلهه » و « الوجد » وفيها ما هو مشترك بين هذا الحب الإلهي والقليل المتألف لدى المتألف غير الصوفي . وقد لاحظنا أن فريقاً من هؤلاء إلهاء بعدد العوض في تعابيره والفاظه كائن الفارص ، وأن فريقاً آخر يميل إلى الرصوخ والسهولة كالشعر ذو ونحن لا نعتقد مع الدكتور زكي مبارك من يرى « أن الأدب الصوفي صواب الفكرة ، الأدب المحمل بالخيال الفلسفية » وأنه كالطعام الدسم الذي لا يحمّله غير أعماء الأقوياء فهو كالنور الذي يعجز عنه البصيرة الرمد ولا يستطيع مواجهته غير أصحاب البصائر والأبصار ١٢ ، والذي أراه أن الأدب الصوفي ليس من العتيق بالدرجة التي يذهب إليها الدكتور فزكي مبارك ، وإذا كانت التعابير الغامضة والأساليب المعقدة التي لبا إليها أولئك المتصوّفون قد أوجت إلى مؤلف الرصوخ الإسلامي كهذه الفكرة ، فإني أظن أنه لو درس حياة أولئك المتصوّفين من الوجهة الثقافية لتيقن له أن تصوفهم يرجع إلى أوضاعهم المعاطفية ، لا إلى المستوى الثقافي الذي بلغوه ، فلو استطع أن نجد في الأدب الصوفي ما يجده في المجال الفلسفي أو العلمي من آراء منظمة ومذاهب متشعبة وإنما هنالك تطلمات وإيمان بأمر صواب ما يكونه عن المنظم والعلم في كثير من الأحيان .